دار الكتب الوطنية
BIBLIOTHEQUE NATIONALE DE TUNISIE

جولة بين حانات البحر المتوسط

علي الدوعاجي (1909-1949)

هي تدوينات عن رحلة بحريّة قام بها على الدوعاجي سنة 1933. وقد جمع فيها بين أدب الرّحلة والمذكّرات والاستطلاع الصحفي، والفكاهة، وحلاّها ببعض رسومه.
نشرت على حلقات في مجلة "العالم الأدبي" ابتداء من سبتمبر 1935 إلى فيفري 1936، ثم أعادت مجلة "المباحث" نشرها بين شهري جويلية وسبتمبر 1944.
تم جمّعتها الشركة القومية للنشر والتوزيع وأصدرتها سنة 1962.
تبدأ الرحلة من ميناء تونس إلى فرنسا وتمر بإيطاليا واليونان وتركيا والشام وآخر الرحلة مدينة الإسكندرية (حسب مقدّمة المؤلف) ولأسباب مجهولة لم يكمل الكاتب سرد فصول رحلته في كل من الشام والإسكندرية. وقد ترجم الطاهر شريعة (1927-2010) هذه الرّحلة ونشرتها الدار التونسية للنشر في سنة 1979.

المؤلف : الدوعاجي، علي
تاريخ النشر : 1962
الناشر : الشركة القومية للنشر والتوزيع
اللغة : عربية
الموضوع : مجموعة قصصية
تصنيف ديوي العشري : 814
الوصف المادي للوثيقة : 93 ص ؛ 23 سم
المفاتيح : أدب الرحلة، مجموعة قصصية، مذكّرات، أدب تونسيّ، تحت السّور، علي الدّوعاجي، تونس ما بين الحربين، الحداثة، الإنسانيّات الرّقميّة، الخلدونيّة الرّقميّة

دار الكتب الوطنية التونسية © كافة الحقوق محفوظة

علي الدوعاجي

جولة

بين حانات البحر المتوسط

المكتبة الوطنية التونسية
BIBLIOTHEQUE NATIONALE DE TUNISIE

ة القومية للنشر والتوزيع
تونس

لمكتبة
67
955
ع 8
وطنية

المكتبة الوطنية التونسية
BIBLIOTHEQUE NATIONALE DE TUNISIE

المكتبة الوطنية التونسية
BIBLIOTHÈQUE NATIONALE DE TUNISIE

المكتبة الوطنية التونسية
BIBLIOTHÈQUE NATIONALE DE TUNISIE

المكتبة الوطنية التونسية
BIBLIOTHEQUE NATIONALE DE TUNISIE

جولة بين حانات
البحـر المتـوسط

طبع من هذا الكتـاب
خمسون نسخة خاصة
مـرقمة من 1 الى 50

المكتبة الوطنية التونسية
BIBLIOTHEQUE NATIONALE DE TUNISIE

جميـع الحقـوق محفوظـة

علي الدوعاجي

67955

جولة

بين حانات البحر المتوسط

مع اربعة رسوم
للمؤلف

د.ك.و
70673

الشركة القومية للنشر والتوزيع
تونس 1962

تقديم

هذه « الجولة بين حانات البحر المتوسط » التي سجلها الكاتب الموحوم علي الدوعاجي بالريشة والقلم .. قد سبق ان نشرها متسلسلة في مجلة « العالم الادبي » ابتداء من سبتمبر 1935 الى فيفري 1936. ثم اعادت مجلة « المباحث» نشرها بين شهري جويلية وسبتمبر 1944 .

وبالرغم من هذا فقد ظلت الجولة مجهولة لدى عموم القراء في العالم العربي ، وفي تونس ايضا . ومثل هذه الجولة لاتستحق هذا المصير المزدوج من الجهل والاهمال ، فلها من روحها المرحة وسخريتها اللاذعة واسلوبها الخفيف الرشيق ما يحلها مكانا من الذيوع والتقدير هي به حرية وجديرة .

ومن المؤسف اننا لم نعثر - وقد توفى الكاتب منذ اكثر من عشر سنوات - على نسخة كاملة لهاته الجولة الممتعة ، فاعتمدنا على ما سبق نشره في مجلتي « العالم الادبي » « والمباحث »حيث يبدو جليا ان الجولة في النشرتين غير تامة.

وقد حاولنا دون جدوى اتمام ما نقص غير اننا لم نظفر بشيء، وقد يكون الكاتب نفسه لم يتمم كتابة جولته او ان البقية مجهولة عند من يملك تراثه ولا يتيح له مجال النشر ...

وقد حلينا هذه الطبعة باربعة رسوم من ريشة الكاتب نفسه ، سبق له ان حلى بها نشرتها الاولى .

ورائدنا من نشر هذه الجولة انما هو قبل كل شيء احياء تراث قومي يمتاز بالطرافة والمتعة والافادة .

الناشر

المكتبة الوطنية التونسية
BIBLIOTHEQUE NATIONALE DE TUNIS

السّفر الى كورْسيكا

لا أعرف من أين يجب ابتداء الحديث.. بالضبط، وكل ما أعرفه هو أني عزمت على كتابة هذه الرحلة التي قمنا بها في صيف عـام 1933.

بعد العزم أخذت اليوم في التنفيذ. ولا يكون تنفيذ الافكار بنفس السهولة التي يعقد بها العزم. وكل العسرمتأت من أنني لم أتعود تنظيم أعمالي ولست منظما في أفكاري نفسها. فانـا فوضوي منذ خلقت. فقد كان يلذ لي أيام الطفولة أن أبدأ طعامي بالفواكه إذا كانت هناك فواكه على المائدة. وما زلت إلى اليوم أطالع القصيدة مبتدئا من خاتمتها بـل من إمضاء صاحبها عقبها . وهذا بلا شك نقص في أعترف بـه ولكني لا أود تغييره بحال.

إنما المهم هنا هو عرض صور صادقة لا مبالغة فيها ولا خيال.

وعلى ذكر صدق الرواية أعترف أني سوف لا أحدثكم هنا بما اعتدتموه في كتب الرحلات من ذكر غرائب المتاحف ونتائج المعامل وأعماق البحار وعجائب الطبيعة وشواهق الجبال وأعماق الكهوف.. لانني سأغفل ذكر كل ذلك فأنا أشعر اني لو عمدت لوصف شيء منه لخلطت فيما أكتبه ما رأيته بما طالعته عن هذه «العجائب» قبل رؤيتها فتأتي رحلة صادقة الكذب وذلك ما أخشى الوقوع فيه.

وكذلك سوف لا أصف الشوارع والميادين والحدائق والعمارات. فهي متشابهة في كل مكان وربما كنت لا أحسن وصفها بقلمي هذا وإن كنت أقدر أن بعض القراء ربما يجد فائدة في ذلك. ومع ذلك فنفس هذا يجعلني أتحاشى ذكرها لأن رحلتي إنما كانت للتسلية و لا أطمع من وراء تدوينها إلا تسلية القراء. أما من رام غير ذلك من الفوائد الجمة والحوادث المهمة فأنا أنصح جنابه بمطالعة الجرائد اليومية وشبهها فان فيها من تقارير جمعية الأمم ما يجعله فيلسوفا مثل «نيتشه» في أقل من أربع وعشرين ساعة .

أما اختياري للعنوان : «جولة بين حانات البحر المتوسط»

فهو لتقرير حقيقة ما قمنا به في جولتنا على موانى هذا البحر الزاهر فاننا لم نر من هذه الموانى إلا حاناتها ومقاهيها ولا أحسب الحديث عنها يسئم أحدا أبدا.... حتى الذين يختمون لذتهم هذه بـ«أعوذ بالله من الشيطان الرجيم».

* * *

... نحن في باخرة تشق جبال الأمواج الصاخبة وتتركها تجري خلفها، ومن أين للأمواج اللحاق، وأمامها «رفاس» فولاذي يدور كالقضاء المبرم.

أما وجهتنا فهي بلاد كثيرة لا نعرف منها الكثير ولا القليل ولا علم لنا بعادات أهلها ولا لغاتهم. فوجهتنا علامة استفهام (؟) هائلة تبتدىء في فرنسا وتمر بايطاليا واليونان وتركيا والشام ونقطتها ـ فى نظري على الاقل ـ مدينة الاسكندرية وهي آخر وأهم بلد في رحلتنا هذه.

كنت مستلقيا على مقعد مريح وأمامي شواطىء جزيرة «سردانيا» الجرداء وإلى جانبي رجل سويسري يحدثني بحديث لم أفهم منه شيئا وذلك لأنه يكلمني بلغة أممية — وهذا ما جعلني أعتقد صحة نسبه السويسري — فإن حديثه خليط من

ألسنة العالم الحديث والقديم. ثم هناك سبب آخر «لكوني لم أفهم حديثه» وهو أن أفكاري كانت منصرفة لما ستكشفه لنا الباخرة والقطار من بلدان طالما حلمت بزيارة بعضها وإذا بالحلم يتحقق بحواشيه.

وها نحن ننظر بين السماء والماء أرضا تبدو قال عنها أحد النوتية «إنها جزيرة كرسيكا» وكنت أود أن أصرخ بملء فمي : «الارض! الارض!» كما صاح «كريستوف كولومب» من قبل لولا الرجل السويسري الذي لا يترك صراخا لصارخ.

واقتربنا حتى صرنا بحيث نبصر الجزيرة على كثب فنتبين المساكن والمزارع. فأخذت منظارا من أحد الرفقة وجعلت أديره في شواطىء الجزيرة...

ثم إذا السويسري مستغرقا في حديثه يضحك ضحكة سكسونية، ويقهقه قهقهة لاتينية — وهذا دليل على أن الرجل من «جنيف» بلا شك — ثم يعقبها قائلا :

— فى الاجتماع الاخير المعقود في «جنيف» كان...

تركته يحكي عن «جنيفه» وقصدت مقدم السفينة حيث كان معظم الركاب ينظرون إلى ميناء «باستيا». وكانت قد هبت ريح

عاصفة جعلت سفينتنا تسرع بدخول الميناء قبل أن تشتد الزوبعة ويتعذر إذذاك دخول السفينة ـ والعهدة في هذا على نوتي كان يشد حبلا إلى حلقة ضخمة ـ .

المكتبة الوطنية التونسية
BIBLIOTHEQUE NATIONALE DE TUNISIE

المكتبة الوطنية التونسية
BIBLIOTHEQUE NATIONALE DE TUNISIE

"نيس"

مدينة «نيس» غانية جميلة ترتدي أزهى فساتين السهرة الثمينة وفي جيدها عقد من أجمل العمارات والحدائق النظيفة.

«نيس» مدينة الزهو والغرور مدينة الشباب الجذاب المرح والكهولة المثرية.

«نيس» مدينة البذخ والرفاهية مدينة الحب الابليسي مدينة الشهوة «الانسانية» مدينة القمار والانتحار.

المرور من رصيف إلى آخر عملية يحسب لها ألف حساب والنظر من وجه غادة إلى أخرى عملية يحسب لها ألف دقة قلب.

و«البيجاما» المكسيكية تقلب الكاعب الهيفاء إلى شيطانة

تنتزع فؤادك من بين جنبيك بمخالب صبغ خضاب «المانيكور» أظافرها بلون الورد ؛ وللبيجاما المكسيكية محاسن أخرى : هي كشف النحور والصدور..والظهور.

فهذا ظهر لونته الشمس بلون النحاس تعلوه رقبة من لونه فوقه شعر أسود جعد بجانبه ظهر عاجي بنحر عاجي وشعر أصفر معقوص وذاك صدر مرمري يحمل رقبة ايطالية عليها وجه اغريقي يزينه فم بربري واسع التقويس، والكل ضاحكات يتثنين في رشاقة باريسية ويتكلمن لغات العالم بنغمات موسيقية تجعل من لغات العالم لغة نسوية واحدة تفهمها بدون مشقة و لا كلفة.

جلست أمتع الطرف بهذه المخلوقات البديعات وكان امامي رجل قصير بدين يلبس أحسن الملابس وأثمنها وفى رباط رقبته ماسة هائلة وتحلي يديه الفخمتين خواتم «البلاتين» المرصعة بالأحجار الكريمة من كل الأشكال والألوان. وبالرغم عن دمامة وجهه كان يجالس مخلوقة لطيفة جذابة — وكان يحادثها بصوت وحركات فيها التخنث وفيها الوقار وكانت هي تنظر اليه كأنه لا يوجد في الارض رأس آخر أجمل من هذه الكرة القبيحة وكانت تحادثه مستسلمة كل الاستسلام صاغرة أمامه ! !فهل يحب مثل هذا الشيخ لو كان يرتدي سترة

زرقاء عليها الرقع مستديرة ومستطيلة وهو يدفع عربة نقل أمامه ؟

لا أدري، ربما... يستحيل لو لم يكن في جيبه من أوراق «البنكنوت» ما يشفع له حتى عند «قابي مر لاي» أو «جون كراوفورد» .

على أن له شفيعا آخر هو..... خفة روحه على ما يظهر من خفة حركاته ورنة ضحكات الآنسة. وهذا شيء عجيب. فإن للشيخ هنا نشاط الشبان ووقار الشيوخ.

وعلى مقربة منهما كان زوج يخالف الزوج الأول خلافا «جنسيا» فالجنس اللطيف في الزوج الثاني تمثله امرأة نصف «احسن نصفيها الذي ذهب» بوجه يحمل الناس على إعادة الحرب الكبرى أو على الأقل يذكرهم ويلاتها، عملاقية القامة ضخمة الصدر والعجز ضامرة البطن نحيفة الساقين حتى كأنهما لشخص آخر خالعة ثيابها إلا مشد نهود (سوتيان قورج) وسترة عورة عليهما رسوم هي أحسن ما يرى من هذه الشيطانة.

وكان الذي بصحبتها شاب أنيق كل الاناقة جميل كـ«ابولون» عصري يرتدي ملابس الاستحمام تبدو منها عضلات جبار

إلى الـ«كوت دازير» وترونه وترون اني صادق فيما رويته.

ويمكن للسائح أن يمشي مئات الكيلومترات بين نيس ومرسيليا راجلا و لا يحتاج إلى أن يحمل معه أي شيء من ضروريات المعيشة. إذ أن الطريق كله متلاصق البنيان والعمران وعدد المطاعم والأنزال يفوق عدد المساكن الخاصة.

المكتبة الوطنية التونسية
BIBLIOTHEQUE NATIONALE DE TUNISIE

على "الانقكور"

غادرنا ميناء «مرسيليا» على متن باخرة «الانقكور». وهي لا تشبه المعبد الهندي المشهور بهذا الاسم الا في أن هذا المعبد قام برحلة إلى باريس يوم أن دعي للمعرض الاستعماري في سنة 1930. أما هذه الباخرة فهي تقوم كل شهر تقريبا برحلة تطوف فيها أهم موانى الشرق الادنى.

كانت وجهتنا مدينة «نابلي». والطريق البحري بين «مرسيليا» و «نابلي» جميل جدا. فقد كان على يميننا وشمالنا وأمامنا وخلفنا مياه البحر «الابيض» المتوسط الزرقاء وفوقنا سماء من نفس اللون، وكان معظم الركاب يتطلعون إلى هذا الفراغ الازرق تطلع الصبيان في حديقة الحيوان.

أما أنا فقضيت اليوم الأول في التفتيش عن أقرب طريق

يصل غرفتي بقاعة طعام الدرجة الثالثة «المتواضعة» وقد دعينا اليها أربع مرات فكنت في كل مرة منها أقطع الباخرة عشر مرات ذهابا وإيابا، فعندما يقرب «الفرج» وتلوح لي موائد الطعام انظر فأراني أمام قاعة طعام الدرجة الأولى.. فأعود إلى اللف والدوران. وبعد أن ينهكني التعب والجوع أجد نفسي أمام قاعة الدرجة الثانية وهكذا حتى أعثر على بغيتي فأجد رفقائي قد فرغوا من طعامهم. وفي ساعة العشاء اصطحبت أحد أجواري. وتصور دهشتي عندما وجدت أن قاعة الطعام «التي طالما فتشت عنها» تقع قبالة غرفتي بالضبط يفصلني عنها باب صغير لم أنتبه إليه.

وفي صبيحة اليوم الثاني وصلنا ميناء «نابلي».

فراش الباخرة الانامي

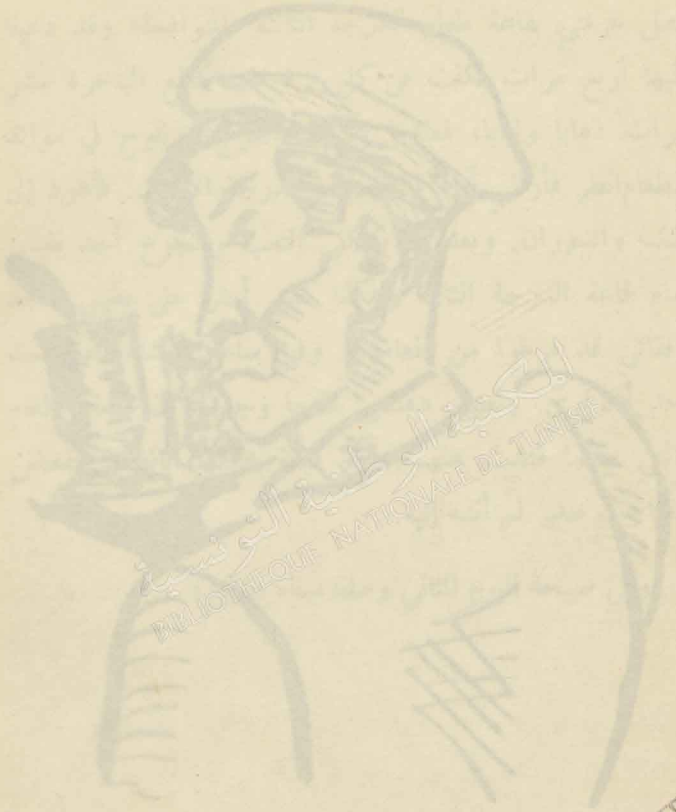

المكتبة الوطنية التونسية
BIBLIOTHEQUE NATIONALE DE TUNISIE

"نابلي"

« نابلي » مدينة جميلة تقع تحت رحمة الله ثم رحمة بركان « الفيزوف »وهو بركان دائم الغضب دائم التدخين - لا أظنه يدخن السجائر الايطالية فهي غالية الثمن جدا والله لا يحب المسرفين .

نزلنا من السفينة فاقتبلنا جند لا يحصى عدد ملابسهم العسكرية ولا عدد أسئلتهم النظامية إلا الله عز وجل.

وتركنا الميناء إلى المدينة فاقتبلنا جند الأدلاء والتراجمة وسماسرة شركات السياحة. وبعد مشاحنة عنيفة بينهم أخذنا الفائزون منهم غنيمة باردة وقادونا إلى مكتب واسع وهناك ضمنوا لنا زيارة مدينة « بمبايي » الأثرية مقابل عشرين «ليري» ايطاليا يدفعها كل منا. وأرسلوا في صحبتنا دليلا يرطن الفرنسية

المستعملة عند «بقر الاندلس» وكان لا يجيد منها إلا عبارة «من ذلك العصر» فكل ما تراه عيناك في « بمبايي » هو من ذلك العصر..حتى «الأوتوبيس» التي أقلتنا وحارس المتحف والضابط المكلف بمراقبته.

كانت تصحبنا في الرحلة امرأة «تريد أن تعرف كل شيء» كأنها سترشح نفسها يوما لادارة هذا الكون. فكانت لا تفوتها الصغيرة و لا الكبيرة حتى تسأل وتلح في السؤال. وكانت في بعض الأحيان تقدم أسئلتها بالجملة : فلماذا وكيف ومتى «لوازم» في فم هذه «المعرفة الكاملة» وبالرغم عن أنها لم تدفع في زيارتنا لـ«بمبايي» أكثر من عشرين «ليري» فقد كانت تستأثر بالدليل لنفسها وترهق المسكين بأسئلة يعجز عن الاجابة عليها «برناردشو» نفسه. وكان يعينها إذا تعبت أشداقها اللطيفة زوجها – وهو لا يقل عنها في تحمل «مسؤولية معرفة كل شيء» – وزوجها هذا كهل يحمل لقب دكتور ولحية بيضاء ناصعة و «بنطلون قولف» بحمالات حريرية زرقاء. ويظهر من هذه «العائلة» أنها منظمة في أحوال معيشتها. فلقد اقتسما العمل .فاذا رأيت السيدة تمسك الدليل من يده اليمنى وتسأله عن طريقة سكان «بمبايي» القدماء في لعبة «التنس» وجدت الزوج ممسكا بيد الدليل اليسرى يسأله عن طريقتهم في زراعة

الكاكاوية. والدليل بينهما يمشي مشية سقراطية ويمطرهما من اختلاقاته بقدر ما يمطرانه من أسئلتهما وهو يعيد من آونة إلى أخرى كلمة «ذلك العصر» المحبوبة.

وبينما نحن في طريق من طرق هذه المدينة «الفارغة» والدليل يقول في رطانته المضحكة : هذا الطريق كانت تسكنه «في ذلك العصر» « زيكوبتسها » المشهورة في «ذلك العصر» برقصها وجمالها وكانت تسكن «في ذلك العصر» منزلا لم يبق منه الآن سوى الواجهة وهي هذه التي ترونها تمثل «العصر» أحسن تمثيل. إذ بالدكتور صاحب اللحية البيضاء يسأله وقد رأى وزغة على الواجهة : وهذه ؟ فأجاب الدليل بدون أن ينظر اتجاه إصبع الدكتور المشير : «ديبوك سنيوري» أي : من ذلك العصر ياسامولاي. والعجيب أن امرأة الدكتور لم تشاركنا في ضحكنا بل ذهبت تخط في مذكرتها كيف أنها شاهدت في مدينة «بمبايي» الأثرية وزغة أثرية من ذلك العصر!.

وكان يمثل « المعارضة » في رحلتنا هذه رجل سميته «حامض المعارضة » وهو يحترف في بلاده مهنة التدريس. وهو متأثر بها إلى درجة أنه يجمعنا حيثما وجدنا سواء على ظهر الباخرة أو في غرفة المائدة ليلقي علينا درسا مجانيا

يستوحيه من كتاب «الدليل الأزرق» الذي لا يفارق يده إلا ليختفي في جيب سترته.وكان يعارض كل من سولت له نفسه إفادتنا بشيء. ويرى صنعه هذا مزاحمة غير شرعية : فكان يعارض رئيس الخدم على المائدة قائلا إن أسلوبه في سلق البطاطة عقيم ويعارض رئيس الوقادين إذا حدثنا عن كيفية شحن وقود الباخرة.وكانت أشد «نوبات» معارضته مع الأدلاء. فالويل لهم من هذا الرجل الذي لا يبيح لدليل أن يقول شيئا لم يذكر في إنجيله الأزرق أو لا يحويه رأسه الأصلع ، وكان يصيب أحيانا في معارضاته، ففي إحدى منعطفات « بمبايي » بيت في واجهته حجر كبير نقش عليه مثلث متساوي الزوايا ومطرقة. وفسر دليلنا هذه الرموز بعد أن سألته عنها امرأة الدكتور – طبعا – بأن المثلث يمثل المثلث والشكل الآخر يمثل المطرقة.وهذا د ليل قاطع على أن سكان « بمبايي » القدماء منخرطون في «جمعية البنائين الاحرار السرية» « لذلك العصر». وفي هذا المثلث وهذه المطرقة الحجة « الدامغة » على ذلك. وزاد أن البيت لا بد أن يكون محفلا « ماسونيا » «في ذلك العصر» والحجر المنقوش من واجهته حجة « دامغة » على ذلك.

هنا قامت معارضة المدرس «على قدم وساق» .وصاح : هذا بهتان وزور. هذا زور وبهتان. فلا الدليل الأزرق. ولا أنا

نرى في الحجر والمطرقة حججا « دامغة » على أن الماسونية كانت معروفة في ذلك العصر.

والعجيب أن امرأة الدكتور لم تشاركنا في ضحكنا على أن « المطرقة والحجر ليسا بحجج دامغة » بل أخذت تخط في مذكرتها بكل بساطة أن المطرقة والحجر المنقوشة عليه ليسا بحجج « دامغة » على معرفة أهل «بمبايي» القدماء للماسونية.

BIBLIOTHEQUE NATIONALE DE TUNISIE

المكتبة الوطنية التونسية
BIBLIOTHEQUE NATIONALE DE TUNISIE

الرجوع إلى نابلس

... غادرنا مدينة بمبايي الغير مسكونة – والعجيب أنها غير مسكونة في إيطاليا التي ضاقت بربع الإيطاليين الذين يفتشون منذ خمسة قرون عن أرض يسكنونها – رجعنا عند الزوال «تماما» إلى نابلي حيث تغدينا في مطعم القديسة « لوتشية » والقديسة «لوتشية» لاأعرف أنا عنها شيئا ولا الدليل ولا المدرس بإنجيله الأزرق وحتى امرأة الدكتور أغفلت السؤال عنها وأما المطعم المسمى باسم هذه القديسة « الكريمة » فهو مطعم أنيق بحق وبه أمهر من طبخ «المقرونة» بين طهاة العالم .

والمقرونة الإيطالية أكلة لذيذة جدا ـ حسبما يقولون عنها ـ وأحسن دعاية للفن الإيطالي الشهير لولا أن أكلها يتعب إفريقيا مثلي تعود الكسكسي. وضع أمامي طبق من هذه الجعاب

اللذيذة واحترت في كيفية لفها حول الشوكة «التي ليس لي فيها أي مأرب» وبعد الدرس والفحص سألت المدرس وكان بجانبي فوجدته في مثل حيرتي فتركته إلى جماعة من الايطاليين كانوا على مائدة بالقرب منا ولسوء حظي وجدتهم يأكلون بقولا ولحما، وحان الفرج بقدوم إيطالي «محافظ» سمعته يطلب «السباقتي» وما وضع الصحن أمامه حتى أخذ في يمناه شوكة وفي يسراه ملعقة وأخذ يلف الجعاب على الشوكة بالملعقة في حركة رشيقة حتى كون منها لقمة بعث بها إلى فمه في حركة البرق. أخذت أقلده وكلما أدرت الشوكة في الملعقة زادت الجعاب تشعبا وتفرعا. وأخيرا تركت المقرونة إلى طبق فصوليا ورزقي على الله. أما المدرس فإنه بعد أن استشار دليله الازرق عن أكلة المقرونة تركها إلى غيرها من الأطعمة وهو يلعن المخترع لهذه الجعاب التي لا تدخل الفم.

تجولنا بعد الظهر في المدينة بين الشرطة والجند - وهم الاغلبية الساحقة من سكان المدن الإيطالية إذذاك - وبين التماثيل النحاسية - وهي أقل عددا من رجال البوليس - وعيناى لا تفارقان البركان الهايج .وأنا متوقع غضبه من حين إلى آخر وما هدأ روعي إلا عندما وطئت قدماي سلم الباخرة وجعلت بيني وبينه الخليج وأنا أحمد الله على السلامة.

عدنا الى الباخرة وعادت امرأة الدكتور إلى سؤال النوتية عن ميعاد قيام الباخرة وعاد المدرس إلى التدريس والأمر بالمعروف.

غادرنا ميناء نابلى بين دخان الباخرة ودخان الفيزوف.

وبينما أنا أنظر إلى الميناء وهو يبتعد عنا ـ أو على الاصح نحن الذين نبتعد عنه ـ وإذا بامرأة الدكتور تسألني عن رأيي فى تعدد الزوجات وهل أبيحه أو على الاقل أعمل به ؟ أجبتها بأني منذ تعرفت بسيدات مثلها تغير رأيي حول هذا الموضوع كل التغير وأني عزمت على البقاء أعزب وهنا اقترب منا المدرس واختطف الموضوع من شفاهنا فصار يطرح النظرية تلو الأخرى فتركت «أحسن من سأل» إلى «أوثق من أجاب» متجها إلى غرفة المائدة التي طالما فتشت عنها وكانت حيرتي عظيمة عندما وجدت أن أول أطباق العشاء طبق « السباقتي » اللعين « حاشا نعمة ربي » .

المكتبة الوطنية التونسية
BIBLIOTHÈQUE NATIONALE DE TUNISIE

إلى بيره

في طريقي من « نابلي » الى « بيره » توطدت علاقتي أولا بالبحر ثم بإسرائيلي من بلاد الساحل التونسي أعجبني بأناقته وكلامه «القليل الفائدة» فلقد استأنس بي في يوم خروجنا من نابلي وجعل من شخصي الكريم صندوقا لأسراره - ولعل سمني وضخامة رأسي إذ ذاك - يحملان الناظر «على الاعتقاد بطيبتي» فاستثاقني على أسراره كل الثقة وليس في أسراره ما يخشى عليه الذيوع وهذا ما دفعني لأن أفشيها إلى القراء وأنا واثق مائة في المائة أنهم لا يهتمون بإفشائها، وملخصها أن هذا الشاب الجميل 5 فوق 10 الأنيق 9 فوق 10 والذي هو نصف مرابي (وأعني بذلك أنه مرابي بمشاركة أم له) أحب فتاة وهام بها وأعلن لها حبه الطاهر في قيلولة يوم من أيام جويلية في شاطىء أبي جعفر بسوسة فما كان منها إلا أنها قدمت له

فاها كالأذن المخصصة لهذا النوع من الكلام وتكلما طيلة أيام الصائفة بهذه اللغة التي تسمع بالشفاه ثم انتقلت بها عائلتها إلى قرية من قرى الساحل فصارا يتبادلان الرسائل وقد أراني جزءا من مكاتيبها مكتوبا على ورق مسطر مما يستعمل في المدارس، هذا ما ظل أياما وليالي يسرده لي مرة بالعربية وأخرى بالفرنسية ومرة بـ«الفرانكوارا ب» أو «السابر» لغة عوام يهود تونس وهذا ما استحلفني أن لا أذيعه! وسألته مرة عن مقدار ثروة الفتاة -أعني المقدار الذي خصه أبوها لمهرها- فأجاب بأن ذلك ماجعله يؤجل طلب يدها من أبويها ولقد صدقته عندما قال إنه يتمنى لأبويها كل خير، ولا يكون مثله مخلصا في تمنيه الخير لغيره إلا في مثل هذه الحالة.

وبين تقلبات البحر التي تفوق تقلبات رجال السياسة في ذلك الوقت وبين الشاب الأنيق الذي اختارني لحفظ تفاهة أسراره قطعت الطريق من «نابلي» الى «بيره».

... ثمّ إلى أثينا

نزلنا من سلم الباخرة إلى الرصيف ومنه إلى حارة الميناء وهي ككل الموانى الشرقية حول البحر الأزرق المسمى بالبحر الأبيض حانات مقامة من أكشاك خشبية وسخة وأطفال عراة الرؤوس حفاة الأقدام كلهم أوساخ وعجائز من الجنسين مستترات بأطمار بالية وسخة وهذا الميناء بالخصوص ملقى لأقذر متشردي البلقان والروس والارمن وصدقنا بالله عندما وجدنا اوتوموبيل أقلتنا إلى مدينة أثينا عاصمة اليونان.

«أثينا» مدينة أممية كجارتها «بيرة» إلا أن اتساع شوارعها وميادينها وفخامة مبانيها ونظافة أهلها وأناقتهم تجعلها في صف العواصم العالمية الجميلة.

من الاشياء التي تلفت نظر الزائر في أثينا : واجهات

مبانيها المرمرية حتى أنه يحكى ـ والعهدة على الدليل ـ أن أحد مثريي الانقليز أعجبته شمس اليونان فاستوطن أثينا وأراد أن يبهر الاثينيين بكثرة ماله فأمر باقامة سراية عظيمة في أفخم شوارع المدينة وللمحافظة على «الايمور» السكسوني طلب من المقاول أن تبنى واجهة السراية بالحجر الصلب وهو قلما يستعمل في مثل هذه الحالة لرخص ثمن الرخام و لا شك أنه أندر من الرخام في اليونان.

ويستلفت نظرك المحترم كثرة باعة التبغ المقدوني اللذيذ وأوراق اليانصيب. ثم لباس الحرس الملوكي وقد أبقوا عليه رغم إعلان الجمهورية وهذا اللباس كثير الشبه بلباس «الطبالين الزنوج في الجنوب التونسي» يتكون من صدرية ومنتان بالشكل المعروف عندنا وجلوالي أبيض واسع كثير « الثنيات » عليه شملة ويعتمون بالشاشية والكبينة الحريرية السوداء ـ بزيها التونسي ـ وينتعلون أحذية مذببة على رأس كل ذؤابة قطعة من حرير ملون وأكثر ما يلفت النظر في الشمائل الأثينية جلاء التقاسيم، والجمال الاغريقي شائع في وجوه كل الطبقات ولولا قصر قاماتهم و«طول انوفهم» لعدوا من أجمل شعوب العالم وعنايتهم باللباس في الجنس الخشن أكثر مما في الجنس اللطيف وهذا خلاف ما يرى في فرنسا مثلا.

وشيء آخر يلفت نظر الزائر ويسره هو انحطاط العمولة اليونانية إذذاك فوحدة العمولة « الدراخمة » أو ـ لنعربها بالدراهم إذا شئت ـ يوازي الجزء التاسع من الفرنك بالضبط. فتدخل مطعما من مطاعم الدرجة الأولى أو الممتازة مثلا فتتغدى بأشهى طعام تركي وتشرب ألذ خمرة ساموس أحلى خمور العالم وتدخن أنفس دخان مقدوني مع قهوة شرقية طهيت من بن « موقا » الأصلي تخدمك فتاة جميلة خلقت لتكون مثالا لمصور أو راقصة في « الفولي برجار » ثم تعطيها ثلاثة فرنكات فرنسية في مقابل ما أكلت وما احتسيت ونظرت فتجيبك بابتسامة مفترة عن أسنان جمعت لؤلؤ عمان: «شكرا سيدي اللورد» .على ذكر اللورد أقول إنه يمكنك ان تكون اسبانيا أوكنديا من الصين أو من الكامرون ولكنك وأنت ترتاد البلدان للنزهة انقليزي في نظر أهالي تلك البلاد رغم أنفك، أرهم صفرة بشرتك أو فطاسة أنفك أو ورم شفتيك فهم يكذبون ما تراه أعينهم ويصرون على سكسونيتك كأنما للأنقليزي وحده الحق في زيارة الأرض التي أورثهم إياها «جون بول» طيب الله ثراه.

وبقدر ما تنفح المستخدم في المقاهي والفنادق بقشيشا

يخلع عليك ألقاب بلاط « بكنقهام » ويمكنك أن تدعى مرة بصاحب الجلالة الملكية نفسه إن جننت ونفحت الخادم ليرة سترلينق كاملة فلايكبر في فمهم ولافي جيبهم شيء.

المكتبة الوطنية التونسية
BIBLIOTHEQUE NATIONALE DE TUNISIE

لماذا عدلت عن دليل الى دليلة

كنا نتجول في شوارع « بيره » ثم « أثينا » في صحبة دليل يتكلم لغات شواطئ البحر الأبيض بسهولة وقد حكى أنه أقام في مصر سبع عشرة سنة ولذا فهو يتكلم العربية كطه حسين حرفا بحرف، بعد أن أتعبنا الجولان في شوارع أثينا وأزقتها رأى الأستاذ الدليل بثاقب فكره أن يقودنا إلى «الاكروبول» ـ وهو مكان على قمة جبل به أجل آثار الإغريق الأقدمين ـ ووافقنا بالإجماع على اقتراحه وسرنا إلى محطة السيارات وفي طريقنا الى المحطة وبجانب القصر الملوكي وحدائقه دلنا الدليل على «الاريد روم» وهو « انفتياتر » رياضي بني حديثا على أنقاض «الاريد روم» العتيق بالرخام الأبيض السميك وهو يسع ـ والعهدة دائما على الدليل ـ ستين ألف نفس.

نحن في التفرج على هذا الميدان وهو كأنه أعد لحشر يوم البعث - وإذا بفتاة تقترب منا وتسألنا في حشمة وفضول الفتاة الشرقية عن جنسيتنا وكانت جميلة فتصيدت للجواب وأعلمت الفضولية الخجول عن حسبنا ونسبنا.

وسار الجماعة أمامي وتركوني مع الفتاة وكانت من النوع الذي ينسيك زيارة الجنة فضلا عن الاكروبول الخربة وفي شفتيها ونهديها من النداء الجنسي Sexuel ما لا يوجد إلا في الشرقية المستغربة وكانت ترتدي معطفا من « التيل » البيضاء غلامية القطع و« جيب » قمراية كثير التموجات والحركات وخرجنا من الحديث عن «أصلنا وفصلنا» ودخلنا في الحديث عن شخصي المتواضع فأعلمتها بالحقيقة التي لا مراء فيها « من اني ابن شيخ من كبار مشايخ الصحراء أسرتني قبائل التوارق بعد موقعة هائلة أبليت فيها بلاء حسنا وقتلت من محاربيهم ما ينيف عن سبعة فرسان أشداء. وبعد أن دفع أبي فديتي وهي عشرون جملا واربعة أحمرة وفرسين وثلاث بنادق وأربعة طلنات من البطاطة الاسبنيولية الحلوة أطلق سراحي.

وبعد أن عدت إلى «القصباء» طلبت إلى أبي أن يسمح لي بالجولان في العالم فسمح لي بذلك فودعت عائلتي وزوجاتي

الاثني عشرة زوجة بيضاء وها أنا أبتدىء طوافي باليونان الجميلة»
ورغم أنها لم تجد شبها بيني وبين «رومان نوفارو» الممثل
السينمائي الذي مثل بطل القصة التي نسبتها لنفسي فقد أمنت
على كلامي بالحرف الواحد وصارت تنظرني بإجلال وفي
خوف ودهشة وسألتني عن أحب زوجاتي إلي فأجبتها بأني
أحب أصغرهن وهي تشبهها كل الشبه ، بحثت عن رفقائي
ودليلهم فلم أعثر لهم على أثر فأظهرت لها حيرتي وجعلت
أفتش في الارض عن آثار أقدامهم ـ كما سمعت عن فراسة
سكان الصحراء التي صرت أنتسب اليها من عشر دقائق ـ .

ـ سألتني عما أفتش في الارض ؟

أنا ـ إني أقتفي أثرهم بمواقع أرجلهم.

هي ـ لا فائدة من هذا والارض صخرية لا تظهر الخطى
عليها.. لكن.. سأقودك إلى الأكروبول بشرط أن تبتعد عني
ثلاث خطوات وتحتفظ دائما بهذه المسافة بيننا !

ـ قبلت.

وفعلا بعد مسير عشرين خطوة رأيت أن أسندها إلى
ذراعي كي لا تتعب فلم تمانع .

سارت معي وهي تقص علي تاريخ حياتها في افرنسية لا بأس بها والقصة نفسها لا بأس بها . فهي ابنة أحد الموظفين العالين في البنك الحكومي وإنها تتقن إدارة الفونوغراف والسباحة وسلق البيض بأنواعه ـ تعني السلق ـ ويعجبها من ممثلي السينما «هتلر» و «بريموكرنيرا» وتهوى التصوير بآلة كوداك. فقدمت لها آلتي لتصورني بجانب تمثال رخامي في الطريق ففعلت وكم كانت دهشتي عظيمة عندما حمضت الشريط ووجدت أنها لم تصور مني إلا رجلي لا غير !

الأكروبول

كانت مود -وهو اسم دليلتي الجميلة- لا تجيد التحدث عن الآثار إجادتها سلق البيض - ولها كل الحق في ذلك - لأنّ للأسماء الإغريقية - قديمها وحديثها - شذوذا في تركيب الاحرف يجعل طلاب الباكالوريا ينطقونها في صعوبة. وهي كثيرة الشبه ببعضها. هذا ما جعلني لم أستفد كثيرا من أسماء الهياكل.

وهياكل الاكروبول مقامة من الرخام الابيض على قمة جبل تفوح منه رائحة الورد و لا أدري بالضبط إن كانت رائحة الورد منبعثة من الجبل أو من شعر دليلتي. ولكن المهم أنني استنشقت رائحة الورد على قمة الاكروبول وأقسم على ذلك.

* * *

رجعت إلى الباخرة مساء وأول من قابلت من رفقائي كانت «مدام المعرفة الكاملة» امرأة الدكتور. وجدتها تحادث نوتيا. وتسأله عن درجة سرعة الميترو السائر بين بيره وأثينا ؟ فما أن رأتني حتى أقبلت نحوي مسرعة سائلة : من هي الفتاة التي كانت بجانبي في الاكروبول ؟ وهل عرفتها سابقا ؟ واسمها ؟ وأين تقطن ؟

قلت : إسمها مود.

قالت : هذا اسم أنكليزي ! !

قلت : هو اسمها على كل حال وقد عرفتها اليوم وكيف يمكن لي معرفتها قبل اليوم وأنا لم أر بلادها قبل هذا الصباح وإنها رافقتني إلى الاكروبول لتريني آثار جدودها وإنها في غاية اللطف والجمال.

فأخذت المعرفة الكاملة تخط في مذكرتها : إن بنات اليونان يتسمين بأسماء انكليزية ويقدن الغرباء الى المتاحف ليرينهم آثار جدودهن.

أووف ... من هاته التي لا تريد أن تغفل .... شيئا ! ! !

وأول من قابلت من رفقائي كانت « مدام المعرفة الكاملة »

المكتبة الوطنية التونسية
BIBLIOTHEQUE NATIONALE DE TUNISIE

الدردنيل

بين الغرب والشرق عشرون مترا من الماء على الأكثر

كانت السفينة تشق طريقها بين ضفتي هذا المضيق وكانت على يميننا قارة آسيا وعلى شمالنا قارة أوربا ، كنت أشعر بسمو عظيم في هذه النقطة من الأرض ـ أو على الأصح في هذه البقعة من البحر ـ هذه البقعة التي كما أوحت إلى اللورد «بيرون» شاعر الانكليز أشعار: «شيرالد هيرالد» الشهيرة أوحت إلي بقصيد من الشعر الصادق الحي كثيرة الأبيات أسميتها « معلقة الدردنيل » ووددت لوأني علقتها على أضخم وأعلى مدخنة في « الانفكور » ولكني لم أكتبها فلم يبق عالقا في ذهني منها شيء حتى أني نسيت بأية لغة نظمتها.

جلست على مقعد طويل في مقدم السفينة أنظر إلى القارتين نظرة المتزوج بامرأتين أعني أني كنت عادلا في النظر بينهما.

فكنت أرى في زوجتي اليمني آسيا الشرق بأسراره ورموزه بما في الشرق من روح كبيرة سامية بما في الشرق من نحل وديانات ومذاهب، الشرق البذخ بقصوره وجواهره ولآلئه وقطار الفيلة محمل بالحرير والعود والعاج والأحجار الكريمة يسير في طريق خال ناء في سلسلة جبال حمالايا.

وكانت زوجتي آسيا فتاة ممشوقة القامة سمراء اللون في قليل من الصفرة سوداء الشعر بعينين نجلاويتين ساحرتين كأعين الحجازيات لا تدري كنهها ولا مايدور خلفها ترتدي الثياب الدمشقية المطرزة بالقصب والجوهر عليها رسوم صينية تتحلى بأنفس اليواقيت والزبرجد ولآلي من أعماق الخليج الفارسي والمحيط الهندي وشامخات جبال منشوريا معطرة بأشذى عطور السند القباق الزبرجدية بين الأعمدة الرخامية الوردية اللون أمامها القيان يعزفن لها ألحانا شجية ملأى بالذكريات « الثقيلة » وهي غارقة في مطالعة « الخيام » شاعر الشرق وأمامها منضدة من خشب « الارز » المطعم بالابنوس « الانامي » والاصداف والمرجان. ونارجيلة من البلور « الاسطنبولي » تدخن من غليونها الصيني تبغ شيراز ومقدونيا وهي هادئة الحركات لا تنقل نظرها من كتاب « الرباعيات » إلا لتلقي به على الصور المتشعبة الملونة بالألوان « الصارخة »

في سجاد بوخاري يكسو أو « يفرش » أرض الغرفة أوعلى الآيات الكريمة المكتوبة بخط كوفي مزهر على الجليز القيشاني الذي يكسو الجدران.

وكنت أرى في زوجتي اليسرى « أوروبا » : الغرب بمصانعه وآلاته وعدده ومداخنه التي خلقتها المادة والنظام والمطبعة والعقل الهادئ تحت سماء ممطرة على أرض يكسوها الجليد تسعة أشهر في السنة.

وقطار الشرق الذي يقوم يوميا من باريس إلى اسطنبول يسير بسرعة تسعين ميلا في الساعة الواحدة ، يشق في طريقه جبالا مخترقا كهوفها وبحيرات وأنهارا على جسور قناطر من فولاذ وإسمنت وحمولته آلات المدنية والموت الزؤام من آلات صناعة وإزهاق أرواح من أسلحة بيضاء وحمراء وآلات تلفزة وصناديق أدوية وأحدث كتب العلم والحب فكانت زوجتي « أوروبا » شقراء جميلة بجسم رياضي بيضاء اللون ذات عينين زرقاويتين صافيتين ترتدي فساتين السهرة الرشيقة من مصنوع نهج « لابي » منسوجة من حرير خشبي وجوارب من حرير بلوري وحذاء من جلد الثعابين الاصطناعي تزين جيدها بعقود الكهرمان المطبوخ « الكيمائي » جالسة على

مقعد من جلد قوائمه من الكروم في أفخم نزل سويسري جدرانه وسقوفه من الإسمنت المسلح وأبوابه ونوافذه من بلور لا ينكسر، أمامها على منضدة قوائمها من مسكتة ومطاط مجمد أكواب « بكاراي » ملأى بالشنبانيا المحببة تدخن سجاير الهافان المخلوطة على الذوق الاميركي وهي تتسلى بالتفرج على المنزلقين على الثلج في يدها مجلة لندنية لا تطالع منها الا نكاتها أو صفحة المودة وهي تود اختيار ثوب لركوب الطائرة وثوب يليق بظهورها فى سباق « درباي » أو صفحة البيت لتتعلم أحدث طريقة لرقص «ادفعني..» أو أحدث طريقة لخلط « الكوكتيل » تدير بطرف إصبعها زر المذياع لتسمع رومبا من « سانت برتيلمي » في جزر « الانتي » او فالزمن «فينا» يعزفه تخت بوهيمي به مائة وسبعون «كمان» .

هذا ما كنت أراه في زوجتي آسيا السمراء الكحلاء ؛ وزوجتي أوروبا الشقراء البيضاء.وإذا بصوت وقور أجش يقطع علي أحلامي الحلوة قائلا : ماأجمل هذا الطريق البحري فالتفت نحو الناطق بهذه الحكمة « الباليسية » ـ نسبة للأباليس الفيلسوف الشهير طيب الله ثراه ـ فاذا به راهب جزويتي حليق الوجه ضخم الأنف أحمره ضخم البطن ـ ولم أتبين لونها ـ يرتدي مسموحا أسود لامعا وهو ينظر إلى السماء لا إلى الطريق

البحري الذي وصفه بالجمال وهو يعبث بسبحته العاجية.

وكان يخاطب أبا فرنشيسكاني طويل الأنف والذقن والقامة مبالغا في طولها حتى كأنه يوم صوم . سكت أبافرنشيسكاني الملتحي وأطرق إلى الارض كأنه لا يريد أن يجازف بجواب على إعجاب زميله ثم رفع يافوخه وقال في رصانة الشيوخ « الملتحين »:

ـ أين هذا من طرق البندقية البحرية!؟

كان إلى جانبي فتى قبرصي في العشرين من عمره جميل الوجه جمالا لم أره في غيره من الفتيان لطيفا جذابا حلو الحديث قد فتن بمواهبه هاته كل راكبات الباخرة وكان لا يلتفت إليهن وكان أحب الأشياء إليه العزف على معزف الصالة وأكره الأشياء إليه فلسفة الشيوخ ذوي اللحى الطويلة حتى انه يرى في معاكستهم لذة فلم يكد يفه الأب الملتحى بملاحظته «القرارية» حتى قهقه القبرصي ضاحكا وقال : ما أجمل مقارنتك يا أبتاه!! أين جمال هذا المضيق الطبيعي ـ وكل من زاروه أجمعوا على أنه أجمل مضيق في العالم ثم يأتي بعده مضيق مسينا ـ من طرق مدينة البندقية المحفورة عمدا وما شوارعها المائية إلا خنادق يطوفونها في توابيت الموتى . قال هذا وعاد إلى ضحك معدى، تركني أطرح تقاليد اللياقة

وأشاركه في ضحكته التي ختمتها ضحكة قرارية (كنتر ضحكية) من الأب الحليق.

وعلى ذكر حديث المضيق جعلت أقص عليهم ما كنت أتخيله في زوجتي آسيا وأوروبا وبينما كنت أقص عليهم ذلك وإذا بامرأة الدكتور (مدام المعرفة الكاملة) تجلس على مقعد بجانبنا - ولا أدري من أين خرجت لنا - فلم نفطن إلاوهي على الشازلنق تسألنا عما نتحدث في فضول العجائز فأشار لها القبرصي بالسكوت - ولم تكن تهاب شيئا في العالم إلا جمال هذا القبرصي - فسكتت لأول مرة في حياتها عن مضض وجعلت تصغي لحديثي في انتباه لم يعهد منها وهي تنظر في وجه الشاب الوسيم، وما ختمت كلامي حتى مططت شفتيها الى الأمام ثم أخرجت دفتر مذكراتها وأخذت تخط:

«سمع شاب إفريقي باسمي: آسيا وأروبا فظنهما اسمي فتاتين والعجيب ما ادعاه من أنه رآهما وأحبهما معا - والإفريقيون يحبون بالجملة والقطاعي - وقد سمعته يصف آسيا بأنها سمراء وأوروبا بأنها شقراء. وهو يريد الزواج منهما. وهو بلا شك أغبى شاب رأيته في حياتي مطلقا.»

والتفتت بغتة فوجدتني أنظر في الدفتر ما خطته يدها

الكريمة فابتسمت لي ابتسامة اصطناعية - كأسنانها - وهي تغص بريقها في حنجرتها ثم أخفت الدفتر في حقيبة يدها وقامت تجرى نحو السلالم.

المكتبة الوطنية التونسية
BIBLIOTHEQUE NATIONALE DE TUNISIE

المكتبة الوطنية التونسية
BIBLIOTHEQUE NATIONALE DE TUNISIE

الفجر على مآذن اسطنبول

كان فراشو الباخرة كلهم من الأنام (الهند الصينية). والأناميون - وقد عرفت منهم فراشي الباخرة وبعض الباعة المتجولين في تونس- مخلوقات عجيبة الشكل لا تزيد قامة أطولهم عن المتر والثلاثين سنتيمترا. وجوه صفراء متشابهة - في نظرنا نحن- وأحسن ما خلق الخالق فيهم شعورهم اللمساء السوداء الناعمة اللامعة حتى كأنها خصلات الحرير المشهورة به بلادهم.

كان خادم الغرفة التي أنام فيها متوسط القامة - بالنسبة لأبناء جنسه - يخرج الأحرف الحلقية من أنفه. وهي كثيرة فيما يختاره من المفردات في مخاطبته لنا. وقلما كنا نفهم منه شيئا.

ليلة وصولنا لعاصمة آل عثمان القديمة وقد بقيت الى الآن عاصمة الشرق الادنى على رغم أنف المرحوم أتاتورك الكبير ـ والكبير هنا أعني به الانف ـ وفي ساعة التاي وفيما كنت أستعد للذهاب لاحتسائه أتاني الفراش حاملا بنطلوني. وقد كلفته كيه وبعد أن سلمه لي باليد اليمنى واستلم مني ما فيه « القسمة » باليسرى قال لي في إفرنسية أعتمد في فهمها على ذكائي أكثر مما أعتمد على أذني ـ وهذا ماجعلني لا أفهم منه نصف ما يقوله لي ـ:

ـ استيقظ باكرا غدا.

أغاظني بأمره هذا وهو أول أمر أتلقاه من فراش. فقلت :

ـ لمـا.... ذا... ؟

أجاب وهو يبتسم بجميع أسنانه المسودة :

ـ أنت رجل طيب.

ـ أشكرك على هذا المدح المخجل. ولكن... ما دخل الطيبة في اليقظة باكرا ؟

– باكرا.. الساعة – وأشار بأربع من أصابع يده – ترى اسطنبول. تراها جميلة أكثر من كل العالم.

شكرته بفرنك بقي في يدي فأبى قبوله وأتم قائلا :

– سآتي لإيقاظك .

خرج وتركني أقارن بين شاعرية هذا الشاعر الفراش و«لامارتين» الشاعر النبيل القائل: « الله. وعباده جعلوا من هذه البقعة أجمل مكان على الأرض ». ولقد قال الفراش ما قاله النبيل الشاعر الكبير . وزاد بتعيينه الوقت – عندما أشار بأربع من أصابع يده اليمنى –.

* * *

لم أنم باكرا في هذه الليلة بل بقيت مستلقيا على « المقعد المستطيل » إلى ساعة متأخرة. وكنت أنظر إلى البحر وأشعة البدر تنكسر على أمواجه المضطربة حتى خيل لي أنه ثوب من «القرمسود الزيتي» لراقصة إسبانية وهي ترقص وقد انعكست عليه أشعة كشاف (بروجيكتور) مسرحي قوى وهو أجمل منظر تراه العين من البحر والقمر.

لم أكن نمت أكثر من ساعتين عندما أتى الفراش لإيقاظي.

غادرت الفراش آسفا ـ وقلما تركته غير آسف ـ واغتسلت وارتديت ملابسي في حذر كي لا أوقظ رفقائي في الغرفة ـ وهم ممن لا يهمهم في الرحلة سوى زيارة المتاحف والكنائس والمساجد ـ وخرجت إلى سطح الباخرة.

* * *

كنت كالمسحور أمام عظمة ذلك المنظر وهيبته : والباخرة تقترب رويدا رويدا من ميناء « غالاطا » .

لا يرى أفخم ولا أجمل من منظر المآذن الطويلة البيضاء القائمة كأنها الشموع تحت سماء اسطنبول في ساعة الشروق.

لاسطنبول في هذه الساعة من النهار سماء خاصة باسطنبول لا ترى في غيرها. فيها من الألوان ما يعجز الشاعر والمصور عن أدائه ... وسأحاول وصفه لكم مع وثوقي من عجز البشر عن وصف ذلك المنظر الغريب...

« سماء زرقاء شديدة الزرقة وقطع السحاب موزعة فيها توزيعا مشوشا ولكنه جميل. والشمس تبزع في ثوب

برتقالي من خلف القباب والمآذن البيضاء. وبين أشعة الشمس البرتقالية وزرقة السماء « وصلة » من اللون البنفسجي. وهو اللون الذي عندما نراه مرسوما في سماء لوحة زيتية نقول في هزء : « انها مبالغة من خيال المصور ». ولكني أقسم لكم أني رأيته في سماء اسطنبول ».

هذه سماء اسطنبول ساعة الشروق.... لا ليست هي كما وصفتها لكم. ولكن هذا ما أمكن أن أقوله عنها وأنا معترف بقصوري من الأول. وأتهم كل البشر بالقصور عن وصفها. أليس كذلك يا « مسيو بيار لوتي »... ؟

* * *

المكتبة الوطنية التونسية
BIBLIOTHEQUE NATIONALE DE TUNISIE

اسطنبول

قبل أن أبتدىء الحديث عن اسطنبول أعيد الكلمة المأثورة التي قالها زميلنا (....) « ليس لي أي غرض شخصي مع مصطفى كمال ».

أما أنا فلا قدرة لي على وصف ماشعرت به نحو هذا الرجل فقد كنت أعجب به وأمقته وأجله في نفس الوقت وبشعور واحد.

فلقد ترى من مآثره في تركيا ما يجعلك تشعر نحوه بهذا «الكوكتيل» من الشعور.

جعل هذا الرجل من تركيا البلاد الشرقية والتي كانت كلها وقارا وضعفا وانحلالا دولة أوروبية قوية ... مضحكة.

تضحك وأنت تجول في شوارع اسطنبول اذ يعترضك فلاح تركي قدم للعاصمة يبيع محصولاته على عربة يجرها جمل محترم وترى هذا الفلاح يرتدي سراويل شرقية واسعة وصدرية و « منتانا » عليهما شملة صوف حمراء مما ينسج في جزيرة جربة وينتعل « بلغة » صفراء فاقع لونها، ترى هذا الفلاح بهذا اللباس وعلى رأسه « كسكيت — سبور » من قماش أنقليزي واسع التربيع.

أو ترى جنازة أحد عباد الله فر إلى جوار ربه وعلى النعش تابوت يكسوه الكشمير المزخرف وعلى التابوت من جهة رأس عبد الله الميت على القصبة التي كان يوضع عليها الطربوش أو عمامة المتوفي ترى .. « كانوتي » من القش الايطالي.

وتضحكك العجوز السافرة وهي جالسة أمام بيتها بفستانها الأسود وهي تدخن النارجيلة في حركات بطيئة حالمة بماضيها حينما كانت في « الحريم » بينها وبين الشارع ثلاثة دهاليز في كل واحد « آغا » لا تفارق عيناه الأبواب والنوافذ.

ويضحكك المؤذن وهو يطل من أعلى المأذنة داعيا التقاة إلى صلاة يوم الجمعة وعلى رأس هذا المؤذن « المديرن » قبعة « ميلون » كنصف بطيخة من ورد سيدي داوود عندنا.

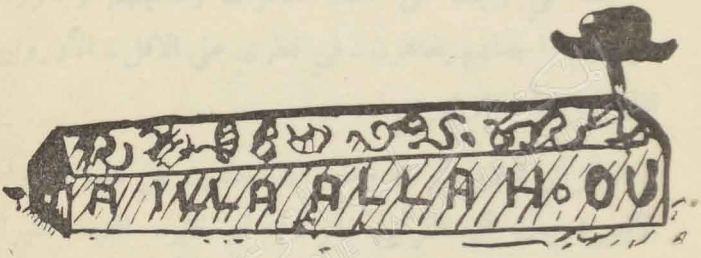

... وعلى التابوت من جهة رأس عبد الله
الميت كانوتي من القش الايطالي

المكتبة الوطنية التونسية
BIBLIOTHÈQUE NATIONALE DE TUNISIE

* * *

أضحكني هذا لأني لم أتعود رؤيته لا عند الشرقيين ولا الغربيين، فلا التي تسفر تدخن النارجيلة ولا الذي يلبس القبعة يضعونها بعد موته فوق تابوته – ولكنها عادات شرقية « تغربت » فاستغربتها وأضحكتني– .

كما أني رأيت من نشاط الأتراك ومدنيتهم وشعورهم بقوميتهم ما جعلهم يضاهون - في نظري على الاقل - الأوروبيين كاليونان والاسبان وغيرهم.

والزائر للبلاد التركية وخصوصا اسطنبول في هذه السنوات الأخيرة يجد أن التركي المتوسط لم تغيره القبعة كثيرا.. كثيـيـيرا! وخصوصا من وجهة الدين. فمازالت المساجد تغص بالمصلين وما زال القرآن يتلى في كل بيت والحمد لله.

يجد الزائر في اسطنبول البلاد الشرقية التي تصورها في طريقه إليها. فالبادي شاه الضعيف الذي كان يسكر خفية ويتسرى بمئات الجواري الشركسيات والروميات داخل « حريمه » المحروس قد غادرها وحل محله بد شاه قوى يسكر ويعربد علانية ويخاصر الفتيات في المراقص العامة كل مساء.

فليطمئن أصحاب اللحى البيضاء فانه لم يتغير في تركيا إلا نشاطها وعلائقها مع أوروبا والشرق... والطربوش.

* * *

والمرأة التركية الحديثة..؟

قصدت عند نزولي من الباخرة في جملة من الرفقاء البنك الوطني لاستبدال فرنكاتي ببارات تركية. فاقتبلتنا فتاة كلها رشاقة وجمال بوجه صبوح وفم باسم ليس عليه أثر للأصباغ.

بادلتنا النقود في نشاط وخفة وهي تكلم الافرنسي بفرنسيته والايطالي برطانته والانكليزي بلغته السكسونية. وسألتها « المعرفة الكاملة » — وهي كالملح لاتغيب عن طعام — بكل فضول عن نسبها فأجابت بأنها تركية مسلمة.

* * *

أما اسطنبول — الاستانة — بيزنطة — القسطنطينية — فليست لها أناقة أثينا. وهي بالنسبة لمدن الشرق لحن من

ألحان السيددرويش إذا شبهت القاهرة بلحن من ألحان عبدالحي حلمي وتونس بنوبة رصد الذيل (1).

اسطنبول صورة زيتية من صور « دى كامب » أو «دى لاكروا » (2) أو رسالة من رسائل الجاحظ وقصيدة اشترك في نظمها المتنبي وفيكتور هيقو. ولكنها على كل حال ليست كما وصفها لنا « بيار لوتي » الذي كتب عنها بشعوره لا بعقله.

* * *

يلزمك وأنت تزور الاستانة ثلاثة أدلاء... وترجع منها بذكريات أكثر مما يتحمله رأسك — مهما كنت — وإذا أردت يوما الكتابة عنها — بعد ما قد كتب عنها — وجدت أمامك طريقين: فإما أن تتمم ما سبقت به — وهذا عسير — وإما أن تذكر ملاحظاتك الشخصية وتقدمها مختزلة كصور أخذتها « آنستنتني ».

وهذا ما سأقدمه لكم.

(1) يمتاز سيد درويش بمزج الانغام الاروبية بالشرقية وعبد الحي باللحن البلدي المصري.

(2) يمتازان باستعمال الالوان الصميمة دون كثرة توليد ولكنهما يكونان ألواحهما من تلك الالوان المتباعدة تكوينا مؤلفا رائعا.

المكتبة الوطنية التونسية
BIBLIOTHEQUE NATIONALE DE TUNISIE

لو عاشَ السلطان عبد الحميد خان الى عهد كمال
اتاتورك لما أمكنه ان يلبس غير هاته القيافة

المكتبة الوطنية التونسية
BIBLIOTHEQUE NATIONALE DE TUNISIE

في شوارع اسطنبول

ذهبت تلك الفتاة التركية الساذجة، تلك التي كانت تلبس السراويل الواسعة المطرزة بالقصب، والكاراكو الواسع الأكمام، تلك التي كانت تنظر المارة في غرفة من خلف « المشربية » ويخشى عليها إذا رأت ابن جارها الجميل مارا تحت نافذتها . تلك الفتاة الرومانتيكية التي كانت تبعث برسائلها معطرة بالياسمين ، طي منديل حريري مطرز بالفضة، مع وصيفتها السوداء ذات الشفتين المورمتين، ذهبت تلك الفتاة التي لم تكن تصلح إلا للفراش، أو لرقصة البطن على نغم العود والرق، ذهبت مع دولة بني عثمان وحلت محلها فتاة أخرى، متعلمة مثقفة نشيطة الحركات لم يعد يخجلها كشف وجهها الجميل للرجل فأزاحت عنه ذلك النقاب الكذاب وخرجت للناس تعاملهم وتجالسهم كبشر مثلها.

* * *

ترى الآن وأنت تجول في اسطنبول فتاة الحريم ترتدي أحدث الأزياء الباريزية وتعمل وتجاهد بجانب الرجل وهو لم يبق في نظرها سيدا بل رفيقا وندا لها وترى الآن في ضواحي المدينة الفتاة الشرقية تلاعب الفتيان كرة التينس أو تباريهم في كرة القدم وتسابقهم في العدو وربما أحرزت قصب السبق دونهم وقد وضعت شرقيتها وجهلها ونقابها مع نمرة ترتيبية في أحد رفوف المتحف التركي.

* * *

بعد جولة بين المساجد والمتاحف، وقد آليت أن لا أذكرها، تخلصت من القصور والدليل. وكانت الساعة السادسة مساء وكنت أشعر بجوع من الصنف «الحاد» من جراء زيارة الخزنة (1) ورؤية ذهبها وفضتها. فقصدت مطعما شعبيا في شارع ضيق بين البيوت الخشبية في

(1) متحف به ملايين التحف الذهبية والفضية والاحجار الكريمة النادرة. مما جمع من قصور السلاطين من آل عثمان ومما أهدى إليهم من «زملائهم» ويعد هذا المتحف من أغنى متاحف العالم لندرة ما فيه من التحف والاحجار الكريمة ومن بينها ياقوتة في حجم بيضة البط هي أكبر ما يوجد من مثيلاتها في العالم.

حارة أيوب «النائمة»، دخلت المطعم ولم يكن به إذذاك من الزبائن سوى فتاة جميلة الوجه سوداء اللباس. «أتحمل» عشرين سنة وصدرا ضخما تام التكعيب والتدوير. كانت الفتاة جالسة إلى منضدة في وسط القاعة تطالع قائمة الأكل كما يطالع مدير البنك «بردرو» آخر الشهر.

جلست بالقرب من الفتاة وقد آنسني ثوبها الأسود وأنا أنظر مفتونا معصمها الأبيض تحت التيل [1] الاسود المغرى.

قدم نحوي خادم المطعم وتكلم بلسانه التركي ما أفهمني أنه يطلب مني شيئا . أجبته بالعربية : « عفوا... لا أفهم ما تقول!!!!».

فابتسم الفتى قلقا وسألني شيئا آخر وأعدت له القول بالافرنسية. هنا التفتت نحوي الفتاة ـ ذات المعصم الأبيض تحت التيل الاسود المغرى ـ وقالت : أنت غريب ؟ بلغة بين الافرنسية والايطالية . قلت : نعم وأجهل اللسان التركي فهل أنت تركية ؟ قالت :

---

(1) قماش شفاف «التلل» في لغتنا العامية .

ـ أتريد أن أقوم بالترجمة بينك وبين الخادم ؟

ـ أشكرك أيتها الآنسة كل الشكر، هذا فضل منك.كنت في زيارة المتاحف وخصوصا «الخزنة» ولا شك أنك لا تجهلين مايشعر به الزائر من الجوع بعد رؤية تلك الأكداس من الأحجار الكريمة والتحف الثمينة. فضحكت فأرتني جواهر زادت في جوعي. وقلت: أرجوك أن لاتضحكي حتى يحضر لنا الخادم شيئا نأكله ، كنتأشكو لك ما فعلته الجواهر بي في الخزينة !

أعادت الضحك وسألت الخادم أن يضع صحنا لي على مائدتها وبدون استشارتي طلبت قائمةالاكل– لي ولها – قلت: أرى أن الدكتاتورية في تركيا ليست مقتصرة على مصطفى كمال !

قالت وهي تزيد آلام جوعي نعم.. لقد سرت عدواها إلي...

* * *

تعارفنا وهي تركية يتمتها الحرب الكبرى.. وهي تشتغل الآن كراقصة في كبريه « بانوراما » في حارة تقسيم. وتسكن مع والدتها بيتا في « ايوب » وأنا تاجر تونسي قدمت إلى

الاستانة لشراء الجلد والجوز واتفقنا على أن تدلني على ملاهي اسطنبول في مقابل زيارة والدتها العجوز في أيوب...

سرت أنا ودليلتي الحسناء إلى حارة تقسيم ثم إلى ملهى بانوراما وهو حديقة واسعة أقيم في مد خلها عدة أكشاك من الخشب لبيع المزة (1) وبعد هذا المدخل تنقسم الحديقة الى قسمين قسم أقيم فيه كشك كبير به تخت شرقي متكون من اثنتي عشر موسيقيا والقسم الثاني به كشك أصغر من الأول وبه طقم (جاز باند أمريكي) فلكل نفس ما تشتهي. توجهنا نحو القسم الشرقي حيث تعمل دليلتي كراقصة.

وجلسنا بقرب وأخذنا نشرب الجعة ونستمع إلى الموسيقى. وأمام كل عازف محمل النوتة.

لست بموسيقي لأصف لكم ما سمعته بإسهاب وإيضاح وكل ما أستطيع قوله هو أني سمعت أجمل قطع موسيقية سمعتها في حياتي ثم اعتلت دليلتي خشبة «الكشك» ورقصت رقصا إيقاعيا تمثل به رقص بدو بلاد الكرد وعند ختام دورها رجعت إلى شغلها كمترجمة ودليلة لحضرتي. واعتلت الكشك

(1) المزة : مسوغ الشراب من مملحات وغيرها .

مطربة تركية قالت عنها الدليلة إنها أقدر مطربة في اسطنبول.

أعيد أني لست بموسيقي لأصف لكم ما سمعته منها وصفا دقيقا فنيا وكل ما أستطيع قوله هو أني سمعت أقبح غناء قرع أذني منذ خلقت.

ومن هذا الملهى قصدنا ملهى آخر به جوقة شرقية أسمعتنا الحانا شجية عذبة وغناء قبيحا.

وختمنا الطواف بزيارة بيت أيوب لتقديم احتراماتي لوالدة رفيقتي المحترمة. ومن حسن الحظ ـ أعني من سوء الحظ ـ لم نجدها بالبيت إذذاك فجلسنا ننتظرها على أحر من الجمر وأحرقنا نفوسنا...

في صباح اليوم الثاني أيقظتني زليخة هانم ـ وهو الاسم الذي اختارته والدة دليلتي لابنتها الجميلة وهي وإن كانت بارعة في ولادة البنات الجميلات فهي ليست بارعة في تأليف الاسماء كما ترون ـ وبعد الفطور عدنا إلى الجولان في شوارع اسطنبول.

* * *

وقف الترام أمام محطة سوق السمك ونزلت منه «المعرفة الكاملة» يتبعها بعلها «الدكتور» العجوز فما رأتني حتى أقبلت نحوي مسرعة وهي تتعثر بحذائها الواسع. حييتها تحية الصباح فلم تجب عنها لا بمثلها ولا حتى بأقل منها وأخذت تجرني من يدي نحو الشارع المؤدى إلى جامع اياصوفية، وفي مدخل هذا الشارع الواسع قهوة ما رأتها العجوز حتى تنفست الصعداء وأمرتنا أنا ودليلتي وزوجها بالجلوس وما جلسنا حتى أخرجت من حقيبة يدها كل ما تملكه من القروش والبارات فوضعتها أمامنا على المنضدة وقالت: «صباح الخير لم أتمكن من رد تحيتك في وقتها، ركبت الترام من تقسيم أنا وزوجي إلى القنطرة الكبرى وكان الخلاص المكلف بعربتنا يحمل شوارب كثيرة الشبه بتلك التي يحملها ذلك الوحش « هيتلر » قدمت له ليرة تركية وهذا ما أرجعه هيتلر الترام بعد خصم ثمن التذكرتين لكن تلك الشوارب « العتيدة » جعلتني أشك في أمانته. وأنا وإن عرفت كل شيء فإني لا أفهم شيئا من هذه الأفلاس التركية فأرجوك عدها وإذا وجدتها تنقص بارة واحدة فاني سأشكو هذا الهيتلر الى...

أجابت دليلتي ضاحكة : إلى عصبة الامم يا مدام...

احتدت «المعرفة هانم» بكل ما تعرفه من الحدة وزاد الطين

بلة أن زوجها لم تفارق عيناه وجه دليلتي الجميلة فأخذت تدمدم بكلام لم نفهم منه حرفا واحدا والشر ورشاش البصاق يتطاير من شفتيها ثم قالت لي :

«ارجو أن تـقدم لي هذه الآنسة الشاطرة في التنكيت».

قلت : « هذه الآنسة آسيـا تلك التي حدثتكم بقرب زواجي منها كما هو مبين بالصـفحة 21 من مذكرتك ».

هنا أخذت المعرفة الكاملة تلتقط نقودها وهي تقول : لأن يسرق مـوسوليني أو هيتلر كل ما أملك أهون علي من الجلوس بجانب أشقياء من هذا العيار.

وذهبت يتبعها زوجها وهو آسف على «مفارقتنا» بهذه السرعة.

وقمنا نحن في أثرها قاصدين أسواق اسطنبول.

من اسطنبول إلى ازمير
دوار البحر

لا أظن أن الباخرة تشعر بدوار البحر مثلما نشعر به نحن الركاب. وإلا فالويل لها من هذا الدوار وبطنها تحمل آلاف الأطنان من مختلف الحمولة أما نحن الركاب فشعورنا به يختلف باختلاف شكل المعدة وطول المصران الأعور – أما أنا فاني واثق كل الثقة من قبح معدتي وفساد شكلها بدليل ما أشعر به من ألم هذا الدوران اللعين وهو على الاصح دوار بطن أكثر منه دوار بحر حسبما شعرت به أنا وهو دوار في الامواج ودوار في رفاس السفينة ودوار في بطني ورأسي وركبتي وقيء وإغماءفي بعض الأحيان ودواؤه الوحيد ـحسبما أقرره أناـ هو المشي على الأرض اليابسة وهو خلاف ما قرره فطاحل الأطباء الذين يصفون لمرضى الدوار أنواعا من القوارير أثمن ما فيها زجاجها.

شعرت بهذا الألم السمج لأول مرة عندما غادرت سفينتنا ميناء تونس إلى وصولنا شواطئ سردينيا وذقت من الآلام ما جعلني أفكر في الرجوع إلى تونس سبحا وأنا لا أحسن هذا النوع من الرياضة،ولقد جربته عشية في شط «درمش» - وكنت قد أخذت أربعة دروس في السباحة بالمراسلة - فكنت ألقي بنفسي على الأمواج -كما هو مذكور في الدرس الثالث- فكانت الأمواج تهرب خائفة وتتركني أرسب ذلك النوع من الرسوب الذي نسميه في لغتنا التونسية «عوم الفاس» ولولا أن جماعة أدركوني وانتشلوني من عبث الأمواج لكنت الآن في ضمن ساكني مقبرة الجلاز.

ورغم كل هذا كنت في أشد آلام الدوار أفكر في إلقاء نفسي في البحر وأن أسبح ستين ميلا بحريا وأنا أجيد السباحة -كما ذكرته لكم- بعد أن تعلمتها بالمراسلة.

وعاودني الدوار اللعين بين مضيق الدردنيل وميناء أزمير.

كنا جماعة ملتفين حول زعيم الرحلة وهو ذلك الأستاذ الذي أسميته في أول هذه الرحلة بحامض المعارضة وكان يسرد علينا باب «أهم ما يرى في مدينة اسطنبول» من إنجيله -الدليل الازرق- وكنا جبرا لخاطره نستمع إليه في كلفة ثقيلة

وكان يقطع قراءته من حين الى آخر لشرح ما لايجب شرحه كما يفعل تماما عندما كان يلقي دروسه على تلاميذه في مدينة «أفـه» وربما قطع الشرح ليكتب هوامش على حاشية الصفحة التي يطالعها.

كان على بعد عشرة أقدام منا رجل تركي جالسا على المقعد الطـويل يدخن غليونه وهو ينظر إلى البحر والسماء وفجأة وقف هذا التركي على قدميه ـطبعاـ وقطع على «أستاذنا» قائلا في لهجة من ينشد قصيدة شعرية : انظروا ذلك الزبد الأبيض الذي يعلو الأمواج الزرقاء!!!

استاء حامض المعرفة من هذه المقاطعة ـغير الشرعيةـ وظهر الاستياء واضحا في برودة رده :

— ثم بعد ؟

ابتسم التركي كما ابتسم نوح (عليه السلام) لقومه وأجاب :

— وبعد، وبعد العاصفة...

وصحنا في صوت واحد : العاصفة.!!

وصاح الاستاذ : أية عاصفة تعني ؟

لم تأخذ التركي بنا رأفة وأجاب :

– العاصفة، ستثور الأمواج بعد ربع ساعة على الأكثر وسترقص الباخرة رقصة البطن، هذا ما أسميه بالعاصفة!

وأمام وجومنا أو اصفرار وجوهنا ـ هذا مالا بد من أنه حصل إذاك، رغم أني لا أذكر الآن أني رأيت هذا الاصفرار الذي ذكرته ـ أتم التركي حديثه بتقديم هذه النصيحة:

– ليشرب كل من يخشى منكم دوار البحر شيئا من الجعة المثلجة هذا مما يزيل الالم.

لم يتمم الرجل كلماته حتى اندفعنا في حركة أتوماتيكية نحو حان السفينة، للعمل بنصيحة هذا الآمر بالمعروف ولم يتخلف عن شرب الجعة سوى اثنين هما : الأستاذ ـ وفي تخلفه اعتراض على نصيحة التركي ـ وكان الثاني هو صاحبنا التركي صاحب النصيحة.

لم تمض عشر دقائق حتى وقعت السفينة بين مرتجة ومتمايلة ولم يفدنا شرب الجعة. واكتسى الدليل الأزرق ذلك الكتاب الجليل ثوبا كثير الألوان مما قذفت به بطن الأستاذ ـ وهي تحوي مع العلم والمعارضة أشياء أخرى أكثر

قيمة ـ وهو أعني «الاستاذ» بين القيء والامتعاض من تنبؤ التركي الذى وجدناه بعد هدوء العاصفة قليلا ملقيا تحت المقاعد .

لم تدم العاصفة إلا ساعتين تقريبا ثم هدأت ونحن على مرأى من مرسى أزمير.

المكتبة الوطنية التونسية
BIBLIOTHEQUE NATIONALE DE TUNISIE

المكتبة الوطنية التونسية
BIBLIOTHEQUE NATIONALE DE TUNISIE

ازمير

لم يبق عالقا في ذهني من زيارتي لأزمير إلا ذكرى المطعم الذي أكلت فيه «كبابا» لذيذا أو الترام الذي يشق المدينة المهدمة تجره الجياد الهزيلة والخلاص الذي يفني نهاره حائرا بين قطع التذاكر وضرب الحصان بسوطه الطويل وهو كلما انقطع عن الضرب لقطع تذكرة وقف فرسه العنيد فيعود إلى ضربه وسبه بما لا أفهمه أنا ويفهمه الفرس.

أو ذكرى حادثة وقعت لنا مع صراف عجوز يدعي أن الأوراق الفرنسية لا قيمة لها وينكر وجود «البنك دي فرانس» كل الانكار وهنا يثور ثائر «المعرفة الكاملة» وتحتج على جهل الصراف بأن سواد شواربه مزيف أيضا مثل الأوراق التي يدعي الصراف أنها زائفة. ونتركه إلى آخر أصغر منه سنا

وأكثر من الأول ثقة بالأوراق الافرنسية وهو يقبل إبدالها بنصف قيمتها وهو يقسم أغلظ الإيمان أنه يجازف بثروته اكراما لعيون «المعرفة الكاملة» السوداء. ونتركه إلى آخر يقبل مبادلتنا دراهمنا الفرنسية بدراهم تركية بشرط أن نشتري من ابن أخته صاحب الدكان الذي بجانبه «مسابح» من الكهرمان ونتركه بدوره الى البنك ولكنا نصله الساعة الحادية عشرة موعد قفل خزائنه.

وقادنا حسن الطالع الى مكتبة يملكها فرنسي أبدلنا النقود بلا شرط ولا قيد وبعد عملية الصرف عرض علينا كتبا حديثة وهو يشكو كساد تجارته فاشترينا منه «ما فيه القسمة» و«القسمة» هذه كلفتني شراء كتاب (لاندرى موروا) بثمانية عشر فرنكا وبعد خروجي من المكتبة تذكرت أني طالعت هذا الكتاب من قبل فأوحى إلي حمقي أن أقذف بهذا الكتاب في الماء ففعلت والخليفة على الله.

هذا كل ما تحملته ذاكرتي الواسعة الخروق لزيارتنا مدينة أزمير وقد نزلنا إليها الساعة العاشرة صباحا وغادرناها في منتصف الليل وأشير إلى حضرات القراء أن لا ينسوا عند زيارتهم

لهذه المدينة أن يقصدوا البنوك لإبدال نقودهم وأن لا يدخلوا مكتبة قط. ويصرفوا كل نقودهم في مطاعم «الكباب» فهي لذيذة جدا والسلام :

المكتبة الوطنية التونسية
BIBLIOTHEQUE NATIONALE DE TUNISIE

المكتبة الوطنية التونسية
BIBLIOTHEQUE NATIONALE DE TUNISIE

الفهرس

تقديم 7
السفر الى كرسيكا 9
نيس 15
على الانقكور 21
نابلى 25
الرجوع الى نابلى 31
الى بيره 35
ثم الى اثينا 37
لماذا عدلت عن دليل الى دليلة 41
الاكربول 45
الدردنيل 49
الفجر على مآذن اسطنبول 57
اسطنبول 63
فى شوارع اسطنبول 73
من اسطنبول الى ازمير 81
ازمير 87

المكتبة الوطنية التونسية
BIBLIOTHÈQUE NATIONALE DE TUNISIE

منشورات الشركة القومية للنشر والتوزيع

الخيال الشعرى عند العرب ..... ابو القاسم الشابى

برق الليل ..... البشير خريف

بين عصرين ..... الصادق مازيغ

احلام الفلاسفة ..... سلامة موسى

الفكر الاسلامى بين الامس واليوم ..... محجوب بن ميلاد

ريح الشرق ..... محمود المعمورى

فى سلسلة ادباء المغرب العربى :

الورغى ..... **اعداد** محمد الحبيب بلخوجة

الباجى المسعودى ..... **اعداد** محسن بنحميدة

تحت الطبع :

ضياء ..... الصادق مازيغ

قصر الريح ..... مصطفى الفارسى

حمر حمراء (قصة للاطفال) ..... محمود الشبعان

المكتبة الوطنية التونسية
BIBLIOTHEQUE NATIONALE DE TUNISIE

الشركة التونسية لفنون الرسم

المكتبة الوطنية التونسية
BIBLIOTHÈQUE NATIONALE DE TUNISIE

ولد علي الدوعاجي في عام 1909 بتونس العاصمة من عائلة « بلدية »

توفي والده وتركه في سن الرابعة . لم يزاول غير التعليم الابتدائي وغادره دون ان يتحصل على الشهادة الابتدائية .

عاش مع امه دون ان يزاول اى عمل ثم حاول ممارسة التجارة واشتغل في دكان احد كبار تجار العاصمة وسرعان ما هجر التجارة الى ميدان الادب فعمل بمكتب مجلة « العالم الادبي » في بادىء الأمر ثم انكب على الكتابة والرسم .

له انتاج أدبي خصب يمتاز بالطرافة وخفة الروح نذكر منه :

- ما يزيد عن 150 رواية اذاعية
- 15 رواية تمثيلية كان يشرف بنفسه على اخراج الكثير منها
- هذه الجولة
- « تحت السور » وهي صورة حية عن الوسط الأدبي والفني بتونس الذى كان هو المع عناصره
- قصص عديدة نشرت بمختلف الجرائد والمجلات نحن بصدد نشرها
- 500 جزل ب[redacted]لهجة التونسية

مات يوم الجمعة 27 ماى 1949 بمرض السل في قسم مجاني باحدى مستشفيات العاصمة وقد .. « عاش .. » كما قال رحمه الله :

.... يتمنى عنبه ** مات جابولو عنقود

ما يسعد فنان الغلبة ** الا من تحت اللحود

الثمن : 300 م.ت.